مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 60 - 76

تاريخ الإرسال: 2023/06/13 تاريخ القبول: 2024/04/23
تاريخ النشر: 2024/05/16

المؤلفات الفقهية في البرامج التعليمية بحاضرة بجاية خلال القرنين 7 - 8هـ/13-14م

The fiqh books in the educational programs in the city of Béjaïa during the 7th and 8th centuries AH / 13th-14th centuries CE.

د. محمد غزالي[1]
جامعة أم البواقي: mohammed.ghezali@univ-oeb.dz [1]

الملخص:

تعالج هذه الدراسة المصنفات الفقهية، ومساهمتها في تفعيل برامج الدرس التعليمي، واستمرارية العطاء الفكري، والتواصل بن الأجيال، بمختلف مدارس ومساجد حاضرة بجاية خلال القرنين 7-8هـ / 13-14م، وقد انطلقت الدراسة بذكر المؤسسات العلمية الحاضنة لهذه المصنفات، ثم ابراز دورها والتنوع العلمي في برامجها التعليمية، وهذا ما أدى الى تخريج الكثير من العلماء ممن كان لهم أثر كبير في ما بعد في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط؛ كما يقدم المقال بعض الميزة والخصوصية التعلمية في المناهج التعليمية لحواضر المغرب لأوسط.

وقد خلصت الدراسة الى أن أكثر التصانيف وجودا ببرامج الدرس هي كتب الأمهات، والتي تعتبر الأصل في ظهور كتب المتأخرين، والأساس في بناء مصنفاتهم، فجرى عليها الشرح والاختصار والتعليق، باعتبار أن الفترة هي مرحلة الشروح والاختصارات، وتولد عنها وعن غيرها من المصنفات عدد من التآليف الأصولية والفروعية، التي تميز بها المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية: بجاية؛ المصنفات الفقهية؛ المغرب الأوسط؛ ابن أبي زيد؛ الفقه؛ البرامج التعليمية؛ الدرس الفقهي؛ الحياة العلمية.

Abstract:

This study addresses the books of scholars in the field of jurisprudence (al-fiqh) and their contribution to activating educational teaching programs in various schools and mosques in the city of Béjaïa during the 7th-8th centuries AH / 13th-14th centuries CE. It is an attempt to highlight the scientific diversity in educational programs and showcase their role in producing scholars who had a significant impact on the scientific life in the central Maghreb region during the study period. Additionally, it aims to highlight the educational value and uniqueness of the cities in the central Maghreb.

The study concludes that the most prevalent books in teaching programs are those that established the Maliki school of jurisprudence, which served as the foundation for the emergence of books authored by scholars after the 3rd Hijri century. These books were explained, summarized, and commented upon, as this period was characterized by an abundance of explanations and summaries. This period of explanations and summaries distinguished the central Maghreb.

Keywords: Béjaïa; jurisprudential works; central Maghreb; Ibn Abi Zayd; jurisprudence (al-fiqh); educational programs, jurisprudential teaching; scientific life.

المؤلف : محمد غزالي، الإيميل: MOHAMMED.GHEZALI@UNIV-OEB.DZ

1.مقدمة:

تطلعنا المصادر التاريخية –خاصة كتب التراجم– على العديد من الكتب والمصنفات الفقهية التي كان لها أثر كبير في البرامج التعلمية بمدارس ومساجد بجاية، وذلك لأنها رصدت المجال الذي انتقلت فيه هذه المصنفات من خلال رجالاتها وتلامذتهم، كما أنها أبرزت القوة العلمية لمؤلفيها وسرعة انتشارها وقبولها من قبل العلماء وطلبة العلم فكانت لها الحظوة الكبرى، لعظم ما احتوته من معارف حول فنها، وكذلك لحسن منهجها، ويسر حفظها.

كما أن كتب الفهارس والبرامج تقدم صورة واضحة عن بعض المصنفات والمعارف التي كانت متداولة، وتقدم صورة أدق عن واقع التعليم من حيث البرامج، وطلبة العلم ونشاطهم، والمشايخ وحركتهم العلمية عبر مختلف أقطار العالم الإسلامي، وكذا مكانتهم داخل المجتمع، وكذا بين أقرانهم من العلماء والمدرسين، كما تقدم صورة عن طرق تلقي المعارف والعلوم والفنون المختلفة.

أما إشكالية هذه الدراسة فقد جاءت على النحو التالي:

ماهي أهم التصانيف وشروحها في الدرس التعليمي الفقهي في مساجد ومدارس بجاية، وما القيمة والميزة العلمية التي حملتها هذه التصانيف؟ ومن هم العلماء الذين ساهموا في شرحها وتبسيطها لطلبة العلم؟

2. حاضرة بجاية والمؤسسات التعليمية

مدينة بجاية من أجل الحواضر التي مثلت المغرب الأوسط، اعتبرت قاعدة المغرب الأوسط، وقد مثلت القطب الشرقي لبلاد المغرب الأوسط، بما أنتجته من مظاهر حضارية متعددة الجوانب، راقية المعاني. فصارت بذلك حاضرة منافسة

لمجموع حواضر المغرب والأندلس[1]، انتعشت فيها الثقافة العربية، وازدهرت الحركة العلمية، حتى قيل أن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد[2].

كانت أماكن الدرس في بجاية عموما محصورة في المدارس والمساجد، والتي كانت تحفظ القرآن والحديث والنحو والفقه، وكانت بعض المساجد الجامعة تشبه كليات تدرس بها أنواع العلوم بالتعمق، ويمكن الإشارة الى المؤسسات التي ساهمت في الدرس التعليمي بمدينة بجاية:

1.2 المساجد:

الجامع الأعظم: ويسمى أيضا المسجد المنصوري، بناه الأمير الحمّادي المنصور بن الناصر (481هـ-498هـ / 1088-1104م)، يقع بقرب قصر اللؤلؤة، وهو من أجمل المساجد، استقطب هذا المسجد الكثير من الطلبة والعلماء، إذ كانت تدرس به مختلف العلوم العقلية والنقلية، وقد تواصلت شهرته في الفترة الموحدية إلى الفترة الحفصية، وأبرز من درّس به أبو العباس أحمد بن محمد المعافري[3]؛ ودرس به كذلك أبو عبد الله المجاري صاحب البرنامج، يقول المجاري: "ومن قرأت عليه ببجاية الشيخ الكبير النظار أبو القاسم المشدالي، تلميذ الإمام العلامة الورع الزاهد أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي رحمه الله ونفع الله بهما، قرأت عليه حظا وافرا من بيوع بن الحاجب بالجامع الأعظم تفقها"[4].

ومنها أيضا مسجد القصبة الجامع ببجاية، من أشهر من جلسوا للتدريس به: أبو عبد الله بن صالح الشاطبي، وأبو عبد الله محمد بن غريون البجائي، وقد درس به ابن خلدون أثناء تواجده ببجاية[5].

ومنها أيضا مسجد الريحانة الذي نزل به ابن تومرت، ومسجد سيدي عبد الحق، الذي درس به الشيخ عبد الحق البجائي، وجامع ملالة الذي يعرف عند الناس بجامع سيدي يحي، والذي درس به أبو زكرياء يحي بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت611هـ/1215م)، الذي استوطن بجاية بعد عودته من المشرق[6].

2.2 المدارس:

لاشك أن انتشار المدارس ببجاية كان بالتزامن مع انتشارها بإفريقية في القرن السابع على زمن الدولة الحفصية، التي كانت السباقة في انشائها، فكانت أول مدرسة هي: المدرسة الشماعية التي أسسها السلطان الحفصي أبو زكرياء (ت 646هـ)، وذلك سنة 633هـ[7].

تشير المصادر التاريخية وكتب التراجم والجغرافيا الى وجود المدارس بمدينة بجاية، لكن ذكرها شاحب جدا، يعبر فقط عن وجودها في بجاية، دون ذكر أسمائها أو مكان تواجدها ، وبهذا الصدد يشير الغبريني في معرض حديثه عن الشيخ الفقيه ابي عبد الله ابن شعيب الذي دخل بجاية في مدة اجتيازه الى المشرق أنه "ولي المدارس فزانها بنظره، وجملها بحميد أثره"[8]، ويقول الحسن الوزان: "وبجاية بها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة والأساتذة في شتى العلوم"[9].

وهناك إشارة أخرى يذكرها المجاري في برنامجه أنه قرأ على أبي القاسم المشدالي، وسمع منه في مدرسة اقراءه بعض تلخيص ابن البناء[10]. وكلها إشارات تدل على كثرتها وتوزعها بمدينة بجاية، ولكنها مع الأسف لا تذكر شيئا عن أسماء المدارس ومجالها الجغرافي، وهذا السكوت يضيع على الباحث الكثير من الحقائق حول هذه المؤسسات التعليمية المهمة، التي كانت لها مساهمة فعالة في الحياة العلمية بمدينة بجاية.

3. ملاحظات عن حضور المصنفات الفقهية في البرامج التعليمية ببجاية:

ساهمت كتب ومصنفات العلماء بشكل كبير في تفعيل الدرس العلمي، واستمرارية العطاء الفكري، والتواصل بن الأجيال، بفضل اهتمامهم بها في الأنظمة التعليمية بمختلف مدارس ومساجد حاضرة بجاية، وغاية هذا هو الإحاطة بمبادئ وقواعد هذه التصانيف والتآليف والوقوف على مسائلها واستنباط فروع العلم فيها وأصوله، وتبينه وتوضيحه لمن أشكل عليه ذلك من طلبة العلم، وهذا المنحى فصل من الفصول الشريفة في مقاصد التأليف التي أشار إليها ابن خلدون، وهي ميزة ساهمت في ازدهار التعليم وتطوير مناهجه بمختلف حواضر المغرب الأوسط.

لا يمكن بأي حال ورغم العدد الكبير من المصادر التاريخية، وكتب التراجم أن نقوم بإحصاء المصنفات العلمية التي كانت تدرس في مختلف البرامج التعلمية، وانما محاولتنا هذه نريد من خلالها ابراز التنوع العلمي للبرامج التعليمية، وإبراز دور هذه المناهج والبرامج في تخريج العلماء ممن كان لهم أثر كبير في الحياة العلمية بحاضرة بجاية خلال فترة الدراسة، وكذا ابراز القيمة العلمية والخصوصية التعلمية لحواضر المغرب لأوسط.

إن أكثر التصانيف حضورا ببرامج الدرس هي كتب الأمهات التي كانت أساس العلم والتعليم، والتي تعتبر الأصل في ظهور كتب المتأخرين، حيث كانت الأساس في بناء مصنفات العلماء، وقد "جرى عليها الشرح والاختصار والتعليق، باعتبار أن الفترة هي مرحلة الشروح والاختصارات، وتولد عنها وعن غيرها من المصنفات الأخرى عدد من التآليف الأصولية والفروعية، التي تميز بها المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط[11].

اهتمت حاضرة بجاية من خلال علمائها بدراسة وحفظ الفقه الفروعي المالكي، واختلفت طريقة تناولهم هذه بحسب عدة عوامل، كان أبرزها عامل الرحلة والإجازة، والتأثر بمناهج البحث والتعليم الرائجة في بلاد المشرق، وقد وُجد في هذا الشأن طريقتان لتناول الفقه، الطريقة القروية (القرويين) وطريقة المالكية العراقية، حيث جاء في أزهار الرياض تفصيل لذلك على لسان المقري، بأن "للقدماء في تدريس المدونة اصطلاحان، اصطلاح عراقي واصطلاح قروي"[12].

إن اختيارات العلماء لهذه المصنفات كان عن دراية وعلم وفهم لمحتواها، بعد تفحيص وتمحيص دقيق لها، ويعود ذلك الى كثرة التآليف المتداولة خلال هذه المرحلة، وكثرة الاصطلاحات فيها، وتعدد طرقها، وهو ما أضر المتعلمين خاصة والناس عامة في تحصيل المعارف وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "اعلم أن ما أضر الناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التواليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك،

وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها"[13]، وهو ما استوجب الفحص والتمحيص لاختيار أحسن البرامج، ويقودنا النص أيضا الى أن الحرص والفحص من قبل العلماء، لم يقضي على الظاهرة التي أشار اليها ابن خلدون.

4. نماذج من المصنفات الفقهية في الدرس التعليمي:

1.4 المدونة:

ذكر ابن خلكان في وفياته أن المدونة في أول تصنيف لها كانت على يد أسد بن فرات الفقيه المالكي بعد رجوعه من العراق، وهي في الأصل أسئلة سأل عنها أو القاسم فأجابه عنها، ثم نقلها أسد الى القيروان وكتبها عنه الفقيه المالكي سحنون، وكانت قبله تسمى الأسدية، ثم رحل بها سحنون الى أبي القاسم في سنة 188هـ/804م، وكانت في التأليف على ما جمعه أسد بن الفرات غير مرتبة ولا مبوبة، فقام سحنون بذلك، وعمل على الاحتجاج لبعض مسائلها بالآثار[14]، أما ابن خلدون فقد ذكر أن المغاربة اهتموا بها اهتماما بالغا لعظم ما حوته في فنها، فقدموا لها واختصروا وشرحوا العديد من الكتب: كابن يونس واللخمي وابن محرز وابن بشير وأمثالهم[15].

أما عن حضور المدونة في الدرس التعليمي بحاضرة بجاية، فقد ذكر الغبريني تلقيه المدونة عن القاضي الفقيه أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت 686هـ/1287م)، وقد ذكر في ترجمته أن له درس بالغداة، ودرس بين الصلاتين ودرس بين العشاءين وكلها دروس مشهورة، دأب على ذلك مدة طويلة من عمره، واقتصر بعده على تدريس درسين"[16].

ومن أشهر أعلام بجاية الذين اهتموا بالمدون حفظا وتحصيلا أبو سعيد ابن تونارت الدكّالي، أحد الفقهاء المحصلين لمذهب مالك، كان من المدرسين ببجاية، لم يكن له شيء من أمور الدنيا الاّ الاشتغال بالعلم، وكان أكثر اشتغاله بالمدونة كما قال الغبريني[17].

2.4 الرسالة:

لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني (ت 386هـ/996م): وهي من أكثر كتب أبي زيد انتشارا، وهي أشهر الكتب بعد الموطأ والمدونة، قال بعض المعاصرين عنها: "فما أعلم كتابا في الفقه المالكي–بد الموطأ والمدونة – حظى بمثل ما حظيت به "رسالة أبي زيد" من قبول وعناية وشهرة، وانتشار في الآفاق، وعمق أثر في خدمة المذهب، ونفع الأجيال من طلابه على امتداد الزمان والمكان"[18].

وقد أشار التجيبي في البرنامج على أنه قرأ ببجاية شرحا عليها "الشرح المفيد" على يد القاضي الفقيه أبي علي منصور بن أحمد المشدالي، وكان هذا الشرح في عشرين مجلدا، والظاهر حسب ما ذكر التجيبي أن المشدالي لم يكمل هذا الشرح، لذلك ذكر في آخر عرضه دعوة لمعلمه فقال: "والله يعينه على تكميله وتتميمه"[19].

3.4 كتاب التهذيب في اختصار المدونة:

تأليف الشيخ أبي سعيد خلف بن القاسم الأزدي القيرواني المعروف بالبراذعي (ت 372هـ/983م)[20]، وهو من أجل كتب الفقه المالكي، ومن أجل المختصرات الموضوعة على كتاب المدونة، وأهميته هذه يمكن ايرادها في أمرين هما:

أولهما: كونه اختصار للمدونة مع ما تحمله من قيمة وشهرة في الفقه المالكي. وثانيها: حسن صنيع البراذعي في تأليفه[21].

وفي هذا يقول القاضي عياض "وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه، وتيمّنوا بدرسه وحفظه، وعليه معول أكثرهم بالمغرب والأندلس"[22]، وهو من بين أهم الكتب التي كانت تدرس وتقرأ في بجاية، وكان ممن تصدى لتدريسها أبو العباس احمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري (682هـ/1284م)[23]، وكذلك أبو الحسن

علي الشهير بابن الزيات عاش خلال القرن السابع الهجري، وهو كما قال الغبريني "حافظ لمذهب مالك رحمه الله، محصل له متقن مجيد، كان ممن يقرأ عليه ويجتمع إليه... استوطن بجاية وقرأ بها وانتفع به، كانت تقرأ على يده سائر الكتب المذهبية، التهذيب"؛ وهو كذلك من جملة الكتب التي قرأها الغبريني على الفقيهين أبي محمد عبد العزيز القيسي، وأبي محمد عبد الله بن عبادة[24].

4.4 كتاب التفريع للجلاب:

للإمام أبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب البصري المالكي:[25] وهو من الكتب الفقهية الفروعية التي جمعت أبواب العبادات والمعاملات وجمعت جملة من القواعد الفقهية على مذهب مالك، ولعل أهم ميزات الكتاب التفريع والتفصيل، والايجاز والاختصار، وكذا تقرير الأحكام لمختلف المسائل الفقهية[26]، ذُكر الكتاب في برنامج التجيبي، الذي قال أنه درسه على المفتي ناصر الدين أبي علي المشدالي[27].

كما ذكر الكتاب الغبريني في جملة ما قرأه على شيخ أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت 686هـ/1287م)، المكنى أبا فارس، ولد بتلمسان، وكانت قراءته ببجاية لقي بها جملة من الفضلاء، وأسند له القضاء ببجاية، قرأ عليه الغبريني هذا الكتاب، وقيد عنه طلبة العلم كثيرا واستكملوا عليه كتاب الجلاب"[28]، كما تصدى لتدريسه أبو العباس احمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري (682هـ/ 1288م)، وكذا أبو الحسن علي الزيات[29]، وأبي محمد عبد العزيز القيسي، وأبي محمد عبد الله بن عبادة[30].

5.4 التلقين في الفروع:

للفقيه المالكي القاضي عبد الوهاب البغدادي (ت 422هـ/1031م): وهو مختصر في الفقه على مذهب مالك، جمع فيه أبواب الفقه المختلفة بأسلوب واضح، وكان عمدة المالكية قبل مختصر خليل. ولهذا اهتم به العلماء فنقلوا منه وشرحوه ،

واعتمده طلاب العلم فحفظوه[31]، وهو كذلك من أشهر الكتب التي كان لها حضور قوي بالدرس التعليمي ببجاية، ولعل أشهر متقن للكتاب حسب ما وردته كتب التراجم نذكر: أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى (ت 644هـ /1246م)، سكن بجاية وقرأ بها وأَسمع، يقول الغبريني "وكان له في "**التلقين**" تقدم ونظر لم يكن له في غيره من الكتب ... لكنه في هذا الكتاب أجل في غيره من الكتب، وله عليه تقيد فيه تنبيهات خفية"[32]، وقد أضاف أبو العباس عليه بعض ما فات المازري في تقيده لكتاب التلقين وهو ما يثبت سعة علمه بتفوقه على مؤلف الكتاب.

ودرسه ببجاية أيضا أبو الحسن علي الزيات السالف الذكر، ودرسه كذلك أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري المعروف بابن محرز (ت 655هـ/1257م)، وهو رأس الأندلسية ببجاية وكبيرهم، كان يحضر اليه طلبة العلم، وعنده مجتمعهم، ومن حسن اهتمامه بالكتاب وضع له تقيدا صغير الحجم، ما دل على مشاركته وسعة تحصيله في الخلافات والحديث والأدب، واهتم بتدريسه كذلك شيخا الغبريني أبي محمد عبد العزيز القيسي، وأبي محمد عبد الله بن عبادة، وعنهما اخذ الكتاب[33].

6.4 مختصر خليل:

من بين أهم الكتب الفقهية التي اشتهرت بالمغرب، ووضعت عليها الشروح كتاب العلامة خليل بن إسحاق (767هـ/1374م)، الذي اختصر وجمع فيه خلاصة المذهب المالكي، ليكون عنوانا ودليلا للفقهاء في مسائل الإفتاء، وقد نبه الشيخ ابن مرزوق الحفيد الى قيمة هذا الكتاب فقال: "فاختصر غاية الاختصار فيما جمع وألف، وسلك طريق التحقيق بما صنف وثقف، ...وهكذا لم يقتصر الشيخ خليل على الجمع واختصار المسائل المطولة، انما تتبع المسائل وأحاديثها، وأثبت صحة ما ورد في المختصر، كما نبه على ما ورد من مشكلات في المدونة[34].

وقد اعتنى بهذا الكتاب عدد من أعلام المغرب، ومنهم الشيخ إبراهيم فايد الزواوي، العلامة الرحالة تلميذ أبي عبد الله بن مرزوق، حيث ارتحل من جرجرة الى بجاية لطلب الفقه، ومنها الى تونس، ثم ليعود الى بجاية بعد حمل علوم الفقه والمنطق ومما ألف في الفقه.

7.4 مختصر ابن الحاجب[35]:

ساهم الإمام ابن الحاجب (ت 646هـ/1249م) في بناء المعرفي للمذهب المالكي عن طريق مختصره الذي أحدث نقلة نوعية في منهج وأسلوب التأليف الفقهي خلال العصر الوسيط، عن طريق كتاب جامع الأمهات، والذي اصطلح عليه بالمختصر الفرعي، الذي ألفه في فروع الفقه المالكي[36].

وهو من بين الكتب التي كانت تتصدر الدرس العلمي بمدرسة بجاية، وكانت مزية ادخال هذا الكتاب مثبتة للمشدالي أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق (ت 731هـ/1311م)[37] احضره من المشرق، وقد أحدث المشدّالي ثورة على مستوى الفقه المالكي بتدريسه لكتب أبي عمرو بن الحاجب أصلا وفقها ونحوا، وبالتالي أدخل لمدرسة بجاية الفقهية الى جانب منهج أهل الحجاز المتمثل في النقل منهج أهل العراق في تفريغ المسائل والاعتماد على الرأي والقياس[38]؛ ويذكر التجيبي في حديثه عن هذا المختصر وفوائده فقال: " سمعت جملة منه تفقها على الناصر أبي علي المشدالي ببجاية، وأجازنا جميع ما يرويه."[39]

أما ابن خلدون فيذكر أن الكتاب "لما ظهر بالمغرب آخر المائة السابعة، عكف عليه الكثير من طلبة المغرب، وخصوصا أهل بجاية، لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي وهو الذي جلبه الى المغرب، فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر، ونسخ مختصره ذلك، وجاء به، فانتشر بقطر بجاية في تلاميذه، ومنهم انتقل الى سائر أمصار المغرب، وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولونه ويتدارسونه"[40].

وتشير كتب التراجم الى الكتاب أيضا في معرض ذكر مرويات ابن غازي التي يرويها عن ابن مرزوق الكفيف، والذي يقدم معلومات عن ذلك فيقول: "أخبرنا (ابن مرزوق الكفيف) به عن أبيه قراءة عليه في ستة وثلاثين يوما، عن جد الخطيب (ابن مرزوق الخطيب)، إجازة عن ناصر الدين المشدالي عن زين الدين الزواوي عن مؤلفه، وهذا نفس السند الذي قرأ به المجاري المختصر الأصلي على يد ابن مرزوق الحفيد (تـ 842هـ/1364م)، وكان قد قرأ كذلك عن سعيد العقباني (تـ 711هـ/ 1408م[41]).

ويشير التنمبكتي عند حديثه عن الشيخ أحمد بن إدريس البجائي (توفي بعد 760هـ/ 1359م)، أن له تعليقا على البيوع من مختصر ابن الحاجب، نقل عنه الناس كالشيخ أبي العباس الفلشاني في شرحه، والامام محمد بن بلقاسم المشدالي في اختصاره لمختصر ابن عرفة[42].

8.4 المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية:

للفقيه عبد الرحمان بن أحمدْ الوغلِيسي (تـ 786هـ/ 1384م)؛ عالم بجاية، ومفتيها الذي تتلمذ على يده عدد من العلماء البارزين، وهو من بين المختصرات الفقهية اختصر في هذا المصنف أحكام الفقه من الطهارة والوضوء وصلاة وصيام، وغيرها من الفرائض، وتحدث فيه أيضا عن جوانب من العقيدة والرقائق بأسلوب بسيط سهل الألفاظ خال من التعقيدات والشروح المطولة تيسيرا لطلاّب العلم، وهو مقصد المؤلف بقوله: "والغرض من هذا الكتاب التنبيه على ما يلزم العبد، فينتبه ويسأل، حتّى يتحقّق، ويتعلّم ما لا بد له منه، ويقف الطالب على ما يكفيه."[43]

اشتهرت هذه المقدمة في كامل المغرب، ووضع عليها بعض المشايخ شروحا لتبيين معانيها، ومن بينهم: السنوسي الذي وضع عليها شرحا، لكنه لم يكمِله، بحسب ما ذكر صاحب البستان، وشرحها أيضا عالم المغرب الأقصى أحمد زروق[44].

إذن هي جملة من المصنفات التي انتشرت بمدارس بجاية في علم الفقه واصوله، ولا يمكن القول أنها المصنفات الوحيدة التي كانت تُعرض في برامج الدرس بحاضرة بجاية، بل هناك مصنفات أخرى لها أهميتها ودورها في تكوين نخبة العالم الإسلامي باعتبار أن العلماء الذين درسوا ببجاية كان لهم حضور ومساهمة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وهذا ما نلاحظه في مختلف التراجم المشرقية أو المغربية على حد سواء.

5. طرق التدريس:

كانت طريقة الشرح والالقاء هي الطريقة الأشهر في مساجد ومدارس بجاية، وهذه الطريقة هي التي كانت متبعة في باقي حواضر المغرب الإسلامي، حيث يقوم المدرس باختيار كتاب من الكتب المشهورة، ويعين أحد طلبته لقراءته ثم يقوم الشيخ بشرح وتوضيح ما قرأه الطالب، وخلال الشرح يقوم الطلبة بتدوين ملاحظاتهم، وكذا بطرح انشغالاتهم وأسئلتهم حول مادة الدرس.

والملاحظ من خلال البرامج المطروحة والكتب المختارة أن المدرس أو الشيخ يختار الكتب حسب المرحلة العمرية للطلاب، انتقالا به من السهل الى الصعب في عملية التلقين، وهي طريقة تجعل المتعلم أكثر اهتماما وتشوقا للدروس، فتخلق روح المنافسة بينهم، والاشارات الواردة في عرض الكتب وتدريسها في المصادر التاريخية وخاصة كتب التراجم، تجعل المرتكز الأساسي في هذه العملية: الرواية الشفوية المرتبطة بالسند والمتن الذي تلقاه المدرس عن شيخه.[45]

وكان المدرسون خلال عملية الشرح لا يعتمدون على ما جاء في الكتاب المدروس من مادة علمية فحسب، بل كانوا يثرون النقاش ويحيونه بمعلومات أخرى مستقاة من كتب أخرى، ونوقشت المسائل المطروحة بترجيح رأي على آخر، وكان في كثير من الحالات يكلف الأساتذة طلبتهم بالإجابة على ما يرد إليهم من أسئلة كتابة، وذلك حتى يتعودوا على البحث[46].

6. خاتمة:

مما يمكن قوله من خلال هذا العرض أن الكتب المشرقية كان لها حضور قوي جدا في برنامج الدرس العلمي بمدارس ومساجد بجاية، وهذه الظاهرة لم تتفرد بها مدارس بجاية فقط بل نجدها في مختلف مدارس ومساجد المغرب والأندلس، وهي ظاهرة عامة تبرز أهمية هذه المصنفات عند المغاربة، وهذا راجع الى أن جل المصنفات هي كتب أمهات، اهتم بها العلماء مشرقا ومغربا بالشرح والتعليق والاختصار.

اهتم العلماء باختيار الكتب التي تصدرت للدرس الفقهي بمختلف المدارس والمساجد، وهذا الاختيار كان عن دراية وعلم وفهم لمحتواها، وبعد تفحيص وتمحيص دقيق لها، ويعود ذلك الى كثرة التآليف المتداولة خلال هذه المرحلة، وكثرة الاصطلاحات فيها، وتعدد طرقها.

ساهمت كتب البرامج والدرس في تخريج جيل من العلماء كانت لهم مساهمة كبيرة في شرح كتب الأمهات والتعليق عليها، واختصارها، وجعلها في أراجيز ونظم ساهمت كلها في تنشيط الحركة العلمية بصفة عامة، وحركة التأليف بصفة خاصة.

7.الهوامش

[1] عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و 9هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 2015، ص 651.

[2] الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط1، 1969م، ص 7.

[3] مريم هاشمي، الروابط الثقافية لمدينة بجاية مع حواضر المغرب الإسلامي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2019، ص 63.عبد الحميد خالدي، الحياة العلمية ببجاية الحمادية وأثرها في الحضارة الإسلامية، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، ص 187.

[4] أبو عبد الله محمد المجاري، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 137، 138.

[5] رحيم عائشة، المؤسسات التعليمية في مدينة بجاية خلال القرون 7هـ – 10هـ، مجلة متون، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، المجلد 11: العدد 02، 2019، ص 60.

[6] حارث علي عبد الله، التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتب الفتاوى (فتاوى ابن رشد والبرزلي انموذجا)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 4، 2019، ص 173. مريم هاشمي، المرجع السابق، ص 64، 65.

[7] حبيب الرزاق، مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وبجاية الناصرية، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، 2009، ص 116.

[8] الغبريني، المصدر اسابق، ص 190، 191.

[9] حسن الوزان، "وصف إفريقيا"، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضري، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983، ص 50

[10] المجاري، المصدر السابق، ص 138.

[11] بوعقادة عبد القادر، المرجع السابق، ص 836.

[12] المرجع نفسه، ص 931.

[13] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ج3، ص 209.

[14] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1977، ج3، ص 181.

[15] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 10.

[16] الغبريني، المصدر السابق، ص 63.

[17] المصدر نفسه، ص 257.

[18] ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني، رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيروانيأ تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 11.

[19] التجيبي القاسم بن يوسف السبتي، برنامج التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، د.ت ، ص 267.

[20] الغبريني، المصدر السابق، ص 356.، التجيبي، المصدر السابق، ص 268.

[21] أبو سعيد خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني، التهذيب في اختصار المدونة، تحقيق: محمد الأمين محمد ولد السالم بن الشيخ، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، دبي، ج1، د.ت، ص 127.

[22] القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج7، ص 257.

[23] الغبريني، المصدر السابق، ص 94.

[24] المصدر نفسه، ص، 178، ص 197، ص 355

[25] التتجيبي، المصدر السابق، ص 270.

[26] حسين بن سالم الدهماني، التفريع لابن الجلاب القسم الدراسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،ج1، 1987، ص 135.

[27] التجيبي، المصدر السابق، ص 270.

[28] الغبريني، المصدر السابق، ص 64.

[29] المصدر نفسه، ص 94، ص 197.

[30] المصدر نفسه، ص 355

[31] القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي، التلقين في الفقه المالكي، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، ص 19.

[32] الغبريني، المصدر السابق، ص 188، ص 197،

[33] المصدر نفسه، ص 355، 287.

[34] ابن مرزوق الحفيد، المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل، تحقيق: جيلالي عشير وآخرون، مركز الثعالبي للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2012، ج1، ص 226.شربيتي أحمد، الاجازة العلمية والتأليف بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 8-10 هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة خميس مليانة، 2021م، ص 188.

[35] مختصر ابن الحاجب والمعروف بكتاب مختصر منتهى السؤال والأول في علمي الأصول والجدل. ينظر: ابن الحاجب، مختصر ابن الحاجب، تحقيق: نذير حمادو، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2006.

[36] بوبكر زاوي، مكانة كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب في حلق العلم بالمغرب الأوسط ق 8-10هـ /14-16م، مجلة القرطاس، العدد الخامس، جوان 2017، ص 180.

[37] قال عنه الغبريني، الشيخ الفقيه المحصل المتفنن... من أصحابنا ومعاصرينا في نفس الوقت، رحل الى المشرق ولقي أفاضل... وتحصيله لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين، وعلى طريقة المتأخرين. الغبريني، المصدر السابق، ص 229، 230. ينظر أيضا: أحمد بابا التنمبكتي، ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج، اشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ص 611.

[38] منوبة برهاني، جهود فقهاء الجزائر في أصول الفقه والقواعد الفقهية (الشريف تلمساني نموذجا)، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، العدد 1، 2015م، ص 82.

[39] التجيبي ، المصدر السابق، ص 272.

[40] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 12.

[41] وقد أشار التجيبي في برنامجه أنه سمع كثيرا منه تفقها على ناصر الدين أبو علي المشدالي. التجيبي، المصدر السابق، ص 274. بوبكر زاوي، إسهامات فقهاء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه ما بين 4– 9هـ، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد 8، العدد 3، ديسمبر 2016، ص 193.

[42] التنبكتي، المصدر السابق، ص 99.

[43] شريتي أحمد، المرجع السابق، ص 182، 183.

[44] المرجع نفسه، ص 183.

[45] شعباني نور الدين، وآخرون، التعليم في الجزائر عبر العصور التاريخية، أعمال الملتقى الوطني الأول شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة خميس مليانة، دار المصادر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 162.

[46] المرجع نفسه، ص 162.